وجوب التعرف إلى

جَناب رسول الله ﷺ

ووجوب الاطلاع على شمائله الشريفة

وسجاياه اللطيفة

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ٧ حتى الصفحة ١٣

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

المقدمة في وجوب التعرف إلى جناب رسول الله ﷺ ووجوب الاطلاع على شمائله الشريفة وسجاياه اللطيفة

قال الله تعالى : ﴿ واعلموا أنَّ فيكم رسول الله . . . . ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون . . ﴾ ؟! .

إن حقاً على جميع العقلاء المكلفين أن يتعرفوا إلى هذا الرسول الكريم وشمائله الحميدة وخصائله المجيدة ، وذلك لوجوده متعددة :

الوجه الأول : أن الله تعالى أمر العباد أن يؤمنوا بهذا الرسول الكريم ﷺ فقال : ﴿ آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير ﴾ .

والإيمان به ﷺ يتطلب من العباد أن يعرفوا فضل هذا النبي الكريم ، ورفعة مستواه على غيره ، وما أسبغ الله تعالى عليه من الكمالات النفسية ، وما أدَّبه من الآداب الكريمة الرضية ، وما وهبه من الخُلُق العظيم والخَلْق الحسن الكريم ، وما أبدع فيه سبحانه من المحاسن ، وجمع فيه مجامع الكمالات ، فجعل جوهره الكريم عالياً على سائر الأفراد والأجناس ، بحيث لا ينقاس بغيره من الناس .

وكيف يقاس بغيره ؟ وقد ميّزه الله تعالى بمميِّزات الكمال ، وخصَّه

بأكرم الخصال ، وأعلاه ذروة الخُلُقِ العظيم ، وجمله في أحسن صورة وأبدع تقويم ، وخصه سبحانه بأنواع الاختصاص : فرباه بعنايته ، ورعاه برعايته ، فقال سبحانه : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ .

وتولى سبحانه إقراءه وتعليمه ، في حين أنه ﷺ نشأ أُمِّيّاً ، فقال له سبحانه : ﴿ إقرأ باسم ربك ﴾ أي : لا بدراستك ولا بثقافتك ، وقال : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ وقال : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .

وإن مقام ﴿ يوحى إليَّ ﴾ المذكور في قوله تعالى : ﴿ قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ ﴾ ـ يلفت الأنظار إلى موضع الاعتبار ، في شأن هذا الرسول المختار ، ويشير إلى خصائص هذا النبي الكريم ، الذي هيَّأه الله تعالى وأهَّله ، وأعدَّه وأمدَّه في روحه وجسمه ، وعقله وفهمه ، وسمعه وبصره ، وسائر مداركه وجوارحه ، وجوانحه ، وأعطاه قابلية الاختصاص لأن يتلقى الوحي بجميع طرق الوحي من رب العالمين .

ومن ثَمَّ لما واصل ﷺ الصيام ، واصل بعض أصحابه معه ، فنهاهم عن الوصال ، فقالوا : (نراك تواصل يا رسول الله) ؟ فقال : « إني لست مثلَكم ـ وفي رواية : إني لست كهيئتكم ـ أبيت يطعمني ربي ويسقيني » كما جاء في الصحيحين .

فهو ﷺ بشر لا كالبشر ، كما أن الياقوت حجر لا كالحجر .

الوجه الثاني : أن الله تعالى أمر العباد باتباع النبي ﷺ فقال تعالى :

﴿ قل : إن كنتم تحبُّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ فجعل سبحانه الدليل الصادق على محبته هو اتباع النبي ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ أي : إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة .

وهذا يتطلَّب البحث عن أعماله ﷺ ، وعن أقواله وأحواله ، ويتطلَّب التعرّف إلى سجاياه الكريمة وأخلاقه العظيمة ، ليُتأسَّى به ، وليُتَّبَعَ في ذلك اتباعاً كاملاً شاملاً ، إلَّا فيما خصَّه الله تعالى به من الأحكام والأحوال .

ومن ثَمَّ كان أصحاب النبي ﷺ يحرصون كل الحرص على تتبُّع أفعاله وأقواله ، وأحواله وآدابه وأخلاقه ، ليتبعوه في ذلك ، بل كانوا يحرصون كل الحرص على تتبُّع عاداته ﷺ ، لأنَّ عادات السادات هي سادات العادات ، فكيف بعادات سيد السادات عليه أفضل الصلوات والتسليمات ؟! .

قال العلامة السنوسي رحمه الله تعالى في شرح مقدمته : وقد عُلم من دين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ضرورة اتباعه ﷺ من غير توقُّفٍ ولا نظر في جميع أقواله وأفعاله ، إلا ما قام عليه دليل اختصاصه به ﷺ ، فقد خلعوا نعالهم لما خلع ﷺ نعله ، ونزعوا خواتيمهم الذهبية لما نزع ﷺ خاتم الذهب ، وحسر أبو بكر وعمر في قصة جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام ، وكاد يقتل بعضهم بعضاً من شدة الازدحام على الحلاق عندما رأوا النبي ﷺ يحلق رأسه الشريف ؛ وحَلَّ من عمرته في قضية الحديبية ـ وكان الصحابة يبحثون البحث العظيم عن هيئات

جلوسه ﷺ ونومه ، وكيفية أكله وشربه ، وغير ذلك ليقتدوا به . اهـ .

بل كانوا يحبون ما يحبه ﷺ من الطعام[1] ويكرهون ما يكره[2] .

وقد ذكرنا في كتابنا هذا جانباً من جوانب أخلاقه ﷺ وآدابه وأعماله وأقواله ؛ وأذكاره وعباداته ؛ ليقتدى به في ذلك ﷺ .

الوجه الثالث : أن الله تعالى أوجب على المؤمنين أي يحبوا النبي ﷺ فوق محبة الآباء والأبناء ، والأزواج والعشيرة ، والتجارة والأموال ، وأوعد من تخلف عن تحقيق ذلك بالعقاب ، فقال سبحانه : ﴿ قل : إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارة تخشَوْنَ كسادها ومساكنُ ترضَوْنها أَحَبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربَّصوا حتى يأتيَ الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

ولا ريب أن أسباب المحبة ترجع إلى أنواع الجمال والكمال والنوال ، كما قرره الإمام الغزالي رضي الله عنه وغيره .

---

(١) كما روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه ، قال أنس : فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام ، فقرب إلى رسول الله ﷺ خُبزاً من شعير ومَرَقاً فيه دباء ـ أي : قرع ـ فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء فلم أزل أحبه من يومئذ .

(٢) كما ورد في صحيح مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه لما صنع طعاماً للنبي ﷺ وفيه ثوم ، فقيل لأبي أيوب : لم يأكل منه النبي ﷺ ، فقال : أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ : « لا ، ولكني أكرهه » قال أبو أيوب : فإني أكره ما تكره . . . الحديث .

فإذا كان الرجلُ يُحَبُّ لكرمه ، أو لشجاعته ، أو لحلمه ، أو لعلمه ، أو لتواضعه ، أو لتعَبُّدِهِ وتقواه ، أو لزهده وورعه ، أو لكمال عقله ، أو وفور فهمه ، أو جمال أدبه ، أو حسن خلقه ، أو فصاحة لسانه ، أو حسن معاشرته ، أو كثرة برّه وخيره ، أو لشفقته ورحمته ، أو نحو ذلك من صفات الكمال . . . فكيف إذا تأصَّلَتْ واجتمعت هذه الصفات الكاملة وغيرها من صفات الكمال ، في رجل واحد ، وتحقَّقتْ فيه أوصاف الكمال ومحاسن الجمال على أكمل وجوهها ، ألا وهو السيد الأكرم سيدنا محمد ﷺ ، الذي هو مجمع صفات الكمال ومحاسن الخصال ، قد أبدع الله تعالى صورته العظيمة ، وهيئته الكريمة ، وطوى فيه أنواع الحسن والبهاء ، بحيث يقول كل من نعته : لم يُرَ قبله ولا بعده مثله .

ولذلك كان من الواجب على المكلف أن يتعرف إلى جمال هذا الرسول الكريم ﷺ ، ومحاسنه الخلقية ، وكمالاته النفسية والروحية ، والقلبية والعقلية والعلمية ، وذلك لينال مقام محبته الصادقة ، لأنَّ المعرفة هي سبب المحبة ، فكلما زادت المعرفة بمحاسن المحبوب ، زادت المحبة له .

قال سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما : سألت خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصّافاً ـ عن حِلْية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به ، فقال : « كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر . . . » الحديث كما سيأتي .

الوجه الرابع : أن اطلاع الإنسان على أوصافه ﷺ العظيمة وشمائله الكريمة ـ ليُعطي صورةً علميةً تنطبع في القلب ، وترتسم في المخيلة ،

كأنه قد رأى محبوبه ﷺ .

فقد كان ﷺ يذكر لأصحابه أوصاف الرسل قبله ويقرّب إليهم ذلك بأشباههم ، حتى إنهم يصيرون بحالٍ كأنهم قد رأوهم ، وذلك أقرب سبيل للتعرف بهم ، وأقرب طريق للتحبب فيهم .

جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ليلة أسري بي لقيتُ موسى ـ قال الراوي : فنعته النبي ﷺ ـ أي : وَصَفَه ـ رَجِل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة ، قال : ولقيتُ عيسى ـ فنعته ﷺ فقال : ـ رَبْعَةً أحمرَ ، كأنما خرج من دِيماس ـ يعني : الحمام ـ ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به . . » الحديث .

الوجه الخامس : أن في ذكر شمائله ﷺ وسماع أوصافه ونعوته ، تحيا قلوب المحبين ، وتطرب أرواحهم وعقولهم ، ويزداد حبهم ، ويتحرك اشتياقهم .

قال العارف الكبير الشيخ أبو مدين رضي الله عنه :

ونحيا بذكراكمْ إذا لم نراكُمُ
ألا إن تَذكار الأحبة ينعشنا
فلولا معانيكم تراها قلوبنا
إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن غبنا
لمتنا أسىً من بُعدكم وصبابةً
ولكنّ في المعنى معانيكمُ معنا

يحـرّكنا ذكـر الأحـاديث عنكمُ
ولولا هواكم في الحشا ما تحرّكنا

ويرحم الله القائل :

أخلايَ إن شطَّ الحبيب ورَبْعه
وعـزَّ تـلاقيـه ونـاءتْ منـازلـهْ
وفـاتكمُ أن تنـظروه بعينـكم
فما فاتكم بالسمع هذي شمائله
صلى الله عليه وسلم